ملك عبد العزيز

مصباح ديوجين

ما الذي يحزننا ؟... أنا عرفنا ؟...
ونغني الحزن في اشعارنا ... » (١)
قد عرفنا ، قد عرفنا ، قد عرفنا
وسئمنا الصور المكرورة الشوهاء تغشى دربنا
صور منخوبة عوراء تخفي داءها
خلف أسمال القناعات الموشاة الكذوبة .
قد سئمنا ، قد سئمنا زيفها
وسئمنا تعريات الاقنعة
اين مصباحك يا دوجين في قلب الظهيره
مرت الاجيال لم تعثر بشيء .
من ضباب الحلم موّهنا التماثيل العجيبة
ونقشنا من نقاء القلب الوان الصور
وغفرنا بحنان الحب آلاف الخطايا
وتجاوزنا ـ مضحين ـ صغارات البشر
غير ان الطين لم يصبح مرايا
والحضيض السفّل لم يصبح قمر .

* * *

قد عرفنا ، قد عرفنا ، قد عرفنا
وسئمنا المعرفة :
مضحك السيرك تزيا بثياب الملكات
والثعابين تزيت بالدرر
مات سقراط اسيرا سجنه
والسفسطيون عاثوا بالفكر
وازدهى نرسيس في أزيائه
ليس يعنيه سوى الوجه الاغر

* * *

قد عرفنا ، قد عرفنا ، قد عرفنا
وسئمنا المعرفة
صار لذع الملح مرا حارقا
قطرت فيه مرارات السنين
وسئمنا طعمه المر الحزين
وسئمنا ضجة السوق ، مزادات الصنوج
لا تلمنا ان صعدنا قمة الصمت ،
وآفاق الثلوج .

القاهـرة

---

(١) من قصيدة « الملح » للشاعرة في ديوانها « قال المساء »

من ظواهر واحداث اغلبها مكرر ومحفوظ . وليس عمر الانسان شبابا كله ، ولا فحولة على طول الخط . والكتاب الذين يلتقطون تلك الشريحة يوهموننا بان المشاكل والقضايا التي يعاني منها من هم في غير سن الشباب ، لا ترقى الى ان تكون موضوعا لفن ، والعكس هو الصحيح بطبيعة الحال ، اذ ان هذه نظرة جزئية قاصرة ، لا تتناول الحياة والواقع الا من زاوية واحدة .

ولن نذكر هنا بما كتبه همنجواي او حنا مينة او غيرهما من الكتاب العرب والاجانب ، فالشخصية عندهم ترتبط غالبا بقضية محددة ومحصورة ، في حين ان امجد توفيق اقتنص قضية اعم واخطر . الانسان في غير زمانه واوانه .وقع الزمن وانعكاساته . صراع الفرد مع قوة اكبر واعتى ، وما الذي ينجم عن هذا الصراع . او ربما اراد ان يصور لنا احساس الانسان الفرد بضرورة التغلب على واقعه المفروض عليه بحكم عوامل طبيعية او موضوعية لا دخل له فيها ، ثم محاولته الجاهدة في سبيل تغيير هذا الواقع .ورغم ان امكانياته الخاصة لا تؤهله ، فانه لا يتكاسل ولا يتباطأ ، اذ المهم عنده هو ان يتغلب ، او يشعر بان في قدرته ما يدفعه الى التغلب على الواقع ،عن طريق مواجهته له ، وتحديه اياه ، بشكل ايجابي حاسم وحاد .

وقد كان الجد العجوز في هذه القصة هو الانسان في غير زمانه، او الفرد في مواجهة القوى الاشد فتكا ، لكنه لا يسلم بذلك ولا يعترف ، حتى تكون النتيجة في غير صالحه .

وقارىء هذه القصة يشعر بان الكاتب عزف له لحنا هادئا خفيفا لا نشاز بين نغماته ، ولا ضجيج للاصوات التي ترسلها اوتاره التي يضرب عليها بخفة ورشاقة . لكنا نلاحظ انه لم يتعمق نفسية الجد بالشكل الذي يجعلنا نشعر به من الداخل ، من الاعماق . لم يساعدنا على ان نستكشف ابعاد صراعه الداخلي والنفسي ، كنتاج لصراعه مع القوى الخارجية ، لتتبين انعكاسات الخارج على الداخل، والبواعث الدفينة التي كمنت وراء حركته الخارجية ، في تحديه وصراعه ،كرد فعل لحوار ديالكتيكي بين الداخل والخارج، او بين مكونات الداخل وجزئياته بعضها والبعض .

ومسالة الانتهاء بالجد في صراعه الى الانهزام ، وان بدت منطقية بمنظار الحكم السطحي والسريع ، فانها غير معقولة ولا تقبل التصديق، بل وكانها وقوف متعمد مع سبق الاصرار والترصد في صف القوى الهازمة الخارقة للعادة . او القوى غير المنظورة . في حين يكون انتصار الجد انتصارا للجانب الايجابي في الانسان ، وتمجيدا لبقايا روح النضال والمقاومة والتحدي الكامنة في اعماقه والتي تظهر عند الضرورة ، وهذا ـ فيما اتصور ـ هو القطاع الحيوي الذي يلزم التاكيد عليه ، وتجسيده ، وبلورته .

واذا كانت قصة « البحث عن خالد » مغلفة الهدف ، مضغوطة، ومدببة ، واذا كانت قصة « لحن جديد لاغنية قديمة » لا تفصح عن

التتمة على الصفحة ٧٥